

اليوبيل الماسى
للكلية الاكليريكية

سلسلة
آباء الكنيسة

إيسيذروس الفرمى

من أدب الرسائل المسيحى

✝

علم الباترولوچى

سلسلة آباء الكنيسة

القديس

إيسيذروس الفرمى

ST. ISIDORUS OF PELUSIUM

إعداد

أنطون فهمى چورچ



الكتـــــــاب : القديس إيسيذروس الفرمى

ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .

المطبعـــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .

رقم الإيداع :١١٥٨٤ / ١٩٩٤م.

تطلب من :

=======

كنيسة مارجرجس ـ اسبورتنج ـ الاسكندرية .

ص.ب. ١٧ الابراهيمية ـ ت. (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨) .

كنيسة القديسين ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

ت . (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨) .



البابا شنوده الثالث

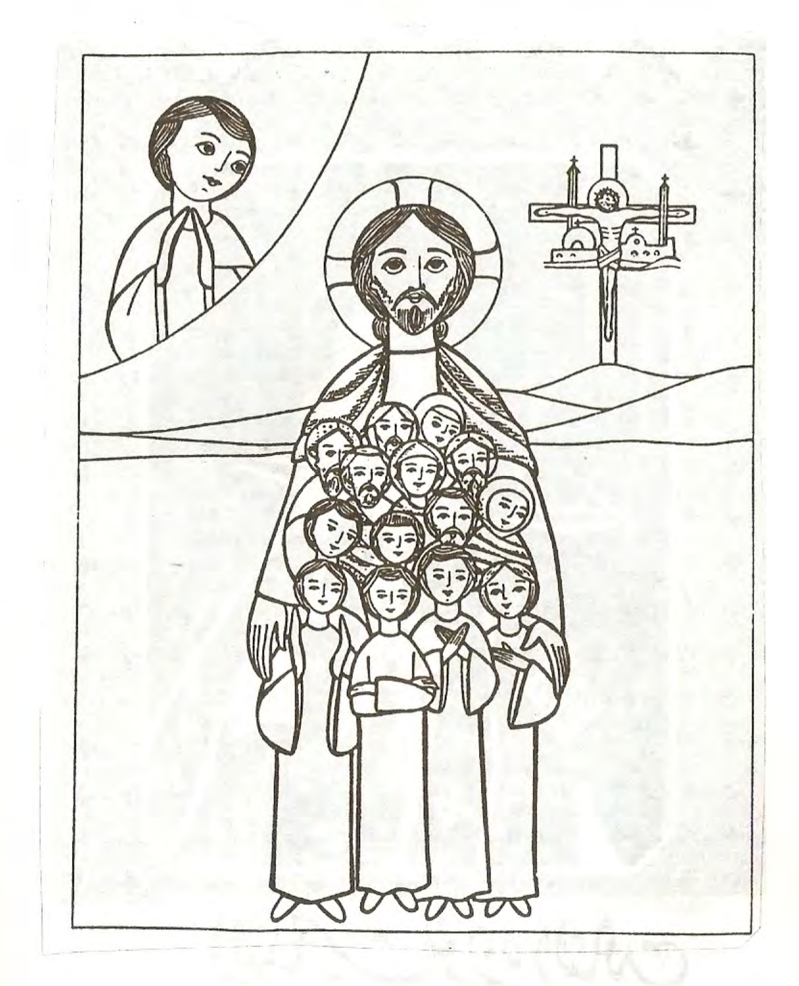
مقدمة

الآباء هم امتداد للرسل ، وهم الذين قاموا بتسليم إيمان الرسل فى الكنائس ، وشرحه وتثبيته والدفاع عنه ، لذلك يعتبر إتباع تعليم الآباء أمراً ضرورياً لكل المؤمنين... ليصير فكرنا قد سلم من أب إلى أب .

ولأن الحياة المسيحية هى حياة تُسلم تسليماً ، لذا كنيستنا كنيسة كتابية وآبائية فى آن واحد ، ولاهوت أبائها ينبع من الاستنارة الروحية ونقاوة السيرة التى تنمو بالنعمة والأعمال والتخمر بخميرة المسيح .

هذا ويقدم لنا كل أب من الآباء بإرشاد روح الله القدوس ، خبرة جديدة ، ومعرفة اختبارية جديدة ممتدة ومماثلة للتعليم الكنسى المستقر فى وجدان وضمير الكنيسة المقدسة .

وتُضاف خبرة كل أب لتصبح خبرة الكنيسة نفسها الواجبة الإتباع ، بالاقتداء بحياتهم والسير حسب تعاليمهم التى تقودنا إلى الخلاص .



ودراسة علم الباترولوچى تجعلنا نتعرف على أبائنا ونعيش معهم فى جهادهم وآلامهم وأحزانهم ، ونستمد منهم قوة العمل والسهر الروحى ، ومن ثم نعرف جذور كنيستنا القبطية الجامعة الرسولية .

لا شك أن دراسة الآبائيات ينبوع ورصيد الكنيسة ، فهم عاشوا وعلموا الإعلان المُعلن فى الكتاب المقدس ، وهم حاملين ومعبرين عن التقليد الحى ، الأمر الذى كلفهم جهاد وتعب وتغصب كثير .

إننا بدراستنا هذه إنما نبغى أن نتتلمذ على فكر آباء الكنيسة وسيرتهم... فهؤلاء القديسون فى المسيح هم قوة الكنيسة ونورها وزيتها وزينتها ، وبدون سكنى المسيح وحضوره فيهم وتجاوبهم لعمل نعمته ، لصارت حياتنا مظلمة وأبوابنا محرقة ، إذ إنهم يشعلون النور بتصديق الحق وعمل الروح بغيرة وسينرچية .

والقصد من إصدار **سلسلة آباء الكنيسة** (**أختوس** ΙΧΘΥΣ) هو التأكيد على فعالية الآباء فى الوعى الروحى واللاهوتى ، لنعيش تعليمهم وشهادتهم باعتبارهم أنية الروح القدس ومستودع الإنجيل المعاش المتوارث من جيل وإلى جيل .

إن سلسلة **أختوس** ΙΧΘΥΣ هى محاولة جادة وجديدة تستهدف التعرف على شخصيات هؤلاء الآباء والتمتع بفعاليتهم التى تحمل لنا فى طياتها نفائس هؤلاء الآباء الملهمين حاملى روح الحق الذى لم ينقطع قط .

وإصدارنا لهذه السلسلة إنما نبغى منه الرجوع إلى الآباء وإلى تجديد فاعليتهم ، بل وإعادة اكتشافهم كنبع غزير وبزوغ فجر لاهوتى وروحى ، ونهضة علمية معاصرة نتواجه فيها مع الآباء وجهاً لوجه وقلباً لقلب ، وحينئذ سيحدث التبنى اللاهوتى والروحى لنا ، فينتقل لنا إيمانهم وفكرهم .

وليس ثمة اسم أب من آباء الكنيسة يمكن أن نقول عنه أن عنده قد انتهى عصر الآباء ، فحتى يومنا هذا وما زال هناك شهود للتقليد الأبائى فى أصالة وفعالية ، وهو ما نشهده فى روح وتعليم ورعاية قداسة **البابا شنوده الثالث** أبو الآباء وراعى الرعاة .

وكنيستنا القبطية الأرثوذكسية تُعرف بأنها تطور مستمر للفكر الآبائى ، تساهم فيه سلسلة **أختوس** ΙΧΘΥΣ برحلة أخذ ، نأخذ فيها ونعيد تعرفنا على آبائنا فى الماضى القريب والبعيد .

ومن بين هؤلاء الآباء نقدم سيرة القديس العالم إيسيذروس

الفرمى (البيلوزمى) ، الناسك واللاهوتى الشهير والمدبر الحكيم والمعلم النارى فى القرن الخامس... والذى عرف عنه درايته بالعلوم والفلسفات والتاريخ والمنطق ، واشتهر بعلمه وتعليمه ومنهجه الرهبانى الصرف ، مشتعلاً بنار الحب الإلهى ، حتى أنه كتب أكثر من ألفى رسالة وعظية وتعليمية لكل فئات الشعب .

وصاحب هذه السيرة سلسل الآباء وقريب للقديس كيرلس وثيؤفيلس بابوات الاسكندرية ، تمهر فى أدب الرسائل الروحانية لكافة المستويات من بطاركة وأساقفة ورهبان ، ونشر الوعى الكتابى والشروحات الإنجيلية فى الأوساط الرهبانية القبطية ، وتأثر بفكر القديس يوحنا ذهبى الفم .

لم يأت هذا الأب العظيم من فراغ ، لكنه من أنقى وأجل الشخصيات ذات الوقار العظيم فى تاريخ الكنيسة ، ولكى نستطيع تمييزه عن بقية الآباء المُلقبين باسمه ، لابد أن نشير إلى :

١) الأب إيسيذروس قس شيهيت الذى يعتبر من شيوخ البرية الكبار ، وهو الذى أرشد القديس الأنبا موسى القس الأسود ورعى آلاف الرهبان بعد أن صار أول كاهن بشيهيت تحت تدبير أنبا مقار الكبير .

٢) إيسيذروس المعترف أسقف دمنهور الذى كان أحد رهبان نتريا المشهورين ، وقابل القديسة الإيطالية باولا ، وقد رسم أسقفاً على هرموبوليس (دمنهور) .

٣) إيسيذروس الذى من القلالى رئيس بيت الضيافة بالاسكندرية ، الذى أخذه البابا أثناسيوس من نتريا وجعله «ربيتة» أى أميناً لبيت الضيافة المشهور بالكرسى الاسكندرى ، ورسمه كاهناً بنفسه ، ويروى التاريخ أن بالاديوس قد رافقه مدة من الزمان وانه سكندرى الأصل .

ولكى نسرد سيرة هذا الأب – إيسيذروس البيلوزمى – ونعطيه حقه من الكرامة سيكون عملاً أكثر مما يحتمله هذا الكتاب ، ولكننا بقدر الإمكان نلقى الضوء على هذه السيرة المغمورة وربما المنسية ، بعد أن اشتهيت بالفعل أن يكون موضوع اهتمامى مستقبلاً ترجمة رسائله ونشرها ، لمسرتنا ونفعنا والأتيين من بعدنا .

إننا نشكر الله على محبته التى لا يُعبر عنها ، ومن أجل الإصدارات التى سمحت لنا عنايته أن نخرجها إلى النور ، وشكراً من القلب للحبر الجليل نيافة **الأنبا بيشوى** مطران دمياط

وسكرتير المجمع المقدس على مساهماته فى هذا العمل وفى كل الدراسات اللاهوتية والمسكونية ، ذاكراً صلوات وتشجيع أبينا الحبيب صاحب النيافة الحبر الجليل **الأنبا بنيامين** النائب البابوى الذى يهتم بنشر فكر الآباء ويرعى هذا العمل بأبوته الجزيلة ، ولا ننسى مساعدة ومساندة نيافة الحبر الجليل **الأنبا ديسقورس** ومجهوداته السخية فى هذا العمل .

وكلمة شكر لأختنا المباركة **الدكتورة منى أبو سيف حلمى** من أجل مساهمتها فى ترجمة بعض أجزاء هذه السيرة نقلاً عن اللغة الفرنسية ، وليعوض الرب كل من له تعب بصلوات وطلبات القديس إيسيذروس الفرمى وأبينا البابا البطريرك **الأنبا شنوده الثالث** .

وللثالوث القدوس كل المجد والكرامة .

تذكار نياحة القديس
إيسيذروس الفرمى
١٠ أمشير ١٧١١ش
١٧ فبراير ١٩٩٥م



القديس
إيسيذروس الفرمى

St. Isidore of Pelusium

رغم أن المصادر الموثوق بها لسيرة القديس إيسيذروس الفرمى قليلة ، إلا أنها تخبرنا أنه كان راهباً وكاهناً ومعلماً من القرن الخامس ، وكتب عدداً كبيراً من الرسائل عن أمور الكنيسة المختلفة ، وعندما نُفى القديس ساويرس الأنطاكى إلى مصر من عام ٥١٨م إلى عام ٥٢٠م ، كان يتساءل عن شخصية الراهب الذى من بيلوزيوم ، وكان معه خطاب من أحد الرهبان يقول فيه عن الكاهن الموقر إيسيذروس أنه «مذبح المسيح ، وإناء الخدمة فى الكنائس ، كنز الأسفار المقدسة ، وأبو الكلمات ، نبع الفضائل وهيكل السلام»[١] .

وبحسب ساويرس ـ الذى يستشهد ببعض رسائل إيسيذروس ـ

كان هذا الأخير كاهناً من بيلوزيوم فى زمان الأساقفة كيرلس الكبير بطريرك الاسكندرية ويوسابيوس أسقف بيلوزيوم* .

وتخبرنا المصادر أنه كان يلوم البابا ثيؤفيلس والبابا كيرلس بسبب موقفهما من فم الذهب ، ويذكر إيڤاجريوس المؤرخ [٢] فى تاريخه الكنسى أن إيسيذروس الذى اشتهر بسبب سيرته النسكية وكتاباته عاش فى زمان الامبراطور ثيؤدوسيوس الثانى والبطريرك كيرلس عمود الدين .

وتختلف السير التى تصف حياة هذا الأب ، وتخبرنا أقدم ترجمة لحياته أنه بعد درس الكتاب المقدس والدراسات اليونانية ، ترهب فى أحد الأديرة وسيم كاهناً .

---

* بيلوزيوم (بلوظة بجوار بورسعيد الآن): عُرفت هذه المدينة منذ القرن السابع قبل الميلاد حيث كانت ميناء هاماً وحصناً أمامياً ثم صارت فى العصر البيزنطى عاصمة إيبارشية يرأسها أسقف ، ويذكر كتاب الهستوريا موناخوروم *Historia Monachorum* المنسوب لروفينوس (فصل ٢٢) ازدهار الحياة الرهبانية فيها ، وهى تسمى اليوم (تل الفرما)، وهى على بعد ٢٦ ميلاً جنوب شرق بورسعيد .

أما السير الأحدث زمنياً من ذلك ، فغالباً ما تخلط بينه وبين إيسيذروس السكندرى ، وبحسب السنكسار السكندرى والسنكسار العربى اليعقوبى ، كان إيسيذروس الفرمى من عائلة ثيؤفيلس وكيرلس البطريركين ، وهرباً من رتبة البطريركية مضى إلى بيلوزيوم حيث ترهب هناك .

وتمدنا القراءة فى رسائله ببعض الدلائل الهامة ، وأقدمها بالتأكيد رسالة إلى القديس اغريغوريوس النيصى [٣] ، وربما ايضاً أخرى إلى إيڤاجريوس [٤] ، ورغم انه لم يستمع إلى القديس فم الذهب كما ظن البعض إلا أنه كان معجباً به للغاية [٥] .

ومن مجموع هذه المصادر يمكننا أن نسرد سيرته كما يلى :

وُلد القديس إيسيذروس نحو عام ٣٥٥م من أسرة عريقة ، وكانت تربط بينه وبين القديس ثيؤفيلس بطريرك الاسكندرية والقديس كيرلس الكبير صلة قرابة .

تعلم فى الاسكندرية حيث تلقى ثقافة عالية كما يتضح من معرفته بالشعراء والمؤرخين والفلاسفة اليونان ، وأظهر نبوغاً عظيماً

بل انه أُعتبر من أعظم علماء عصره .

ورغم أن البعض قد ظن أنه كان تلميذاً للقديس يوحنا فم الذهب ، إلا أن هذا ليس صحيحاً ، إذ كان فقط يعرف أعمال فم الذهب معرفة جيدة ، وكثيراً ما كان يمتدحه وخاصة شرحه لرسالة بولس الرسول إلى أهل رومية وكتابه عن الكهنوت الذى يقول عنه «لم يوجد من لم يتحرك قلبه بهذا الكتاب أو لم ينجرح بمحبة الله ، لقد أظهر جلال الكهنوت الحقيقى ، وكم كان ذلك صعباً ، لكن يوحنا الشارح الحكيم للأسرار الإلهية ، وعين الكنيسة البيزنطية ، شرح ذلك بوضوح وجلاء وفهم ، حتى أن الكهنة كلهم ، صالحهم ورديئهم ، سيجدون فيه المرآة التى يرون فيها أنفسهم» لكنه لم يكن تلميذاً شخصياً له .

عند عودته إلى بيلوزيوم اشتغل بتدريس البلاغة والجدل.. ثم قرر أستاذ الكلام أن يلتزم الصمت بإرادته ، إذ منذ شبابه المبكر ، تأثر إيسيذروس بالرهبنة القبطية التى كانت مزدهرة فى ذاك الحين ، فمضى وترهب فى دير على جبل صغير بالقرب من بيلوزيوم التى كانت مقراً لحاكم المقاطعة ، وكان يقول أنه هرب

من صخب المدينة إلى حياة الخلوة [٦] ، مشجعاً الكثير من مراسليه أن يهربوا مثله [٧] ، وفى هذه الخلوة لم يكن إيسيذروس يقتات إلا بالتأملات الدائمة فى الكتاب المقدس ـ الذى درسه مستعيناً بتعليم الآباء الكبادوك ـ وبالصلوات الحارة وبإماتة جسده بالتقشفات والأصوام الشديدة ، فصار مثالاً حقيقياً للحياة الرهبانية والتأمل فى الإلهيات ، مشابهاً القديس يوحنا المعمدان فى استعداده بالجهاد فى البرية قبل أن يخرج للإنذار بالتوبة .

ثم سيم كاهناً [٨] بيد أمونيوس أسقف بيلوزيوم [٩] ، وفى عام ٤٠٨م ، عندما تنيح أمونيوس وخلفه يوسابيوس ، كثرت المتاعب فى كنيسة بيلوزيوم ، فذهب إيسيذروس إلى دير من أديرة الشركة أو أنصاف المتوحدين *cenobitic or semi-anchorite* خارج بيلوزيوم من جهة الشرق ، وأقام هناك حيث كتب معظم رسائله التى وصلتنا ، وهناك ايضاً زاره عدد من تلاميذه الذين جذبتهم بلاغته ومعرفته بالأسفار المقدسة وخبرته فى الحياة الرهبانية ، وهناك ايضاً تنيح فى شيخوخة صالحة ما بين عامى ٤٣٥:٤٤٠م .

وليس هناك ما يثبت انه نال رتبة الأسقفية المقدسة ، لكن من الواضح أنه كان يمارس بعض السلطان لأنه يقول عن نفسه أنه معين من الله ليحمى الكنيسة ضد الأريوسيين ولكى يوبخ الأشرار [١٠] ، ويتضح من أعماله وكتاباته [١١] أنه كان رئيس دير .

غيرته

إذ كان إيسيذروس محباً للحق [١٢] والفضيلة [١٣] والسلام [١٤] ، امتلئ من الغيرة الرسولية ، فكان يدافع عن حقائق الإيمان وعن الفضائل دون أن يهاب أحداً من عظماء العالم ، إذ وضع فيه الله موهبة خاصة وهى أن يهذب عظماء هذا العالم من ذوى المناصب العالية الذين تضعف فيهم روح العبادة ويحتقرون سيرة القداسة .

وقد حرص إيسيذروس بصفة خاصة أن يملك النظام على ديره ، كما كان يهتم بكنيسة بيلوزيوم ، وكان يوبخ إكليروسها لأنهم اختاروا شخصاً غير أهل للأسقفية ليكون رئيساً لهم [١٥]

وهو الأسقف يوسابيوس ، ورغم أن إيسيذروس كان كاهناً فقط ، إلا أنه كان يوبخ يوسابيوس هذا لأنه خالف القوانين الكنسية بسامته أحد الأشخاص شماساً رغم انه كان متهماً بأربعة جرائم [١٦] ، ولأنه كان يبيع الكهنوت بالمال [١٧] ويمارس السيمونية [١٨] ، كما كان إيسيذروس يعاتب الكاهنين زوسيموس ومارون [١٩] ، إذ بسبب سلوكها الخاطئ ، كان الكثير من شعب المدينة يرفض نوال نعمة الأسرار من أيديهما [٢٠] ، فكتب لهما أن يكفا عن سلوكهما الردئ [٢١] .

لقد إجتازت غيرة إيسيذروس حدود ديره بل وحدود مقاطعته ، فامتدت فى شتى النواحى ووصلت إلى كل مكان فيه ظلم لابد أن يُرفع ، أو إحتياج للإرشاد ، أو حاجة للتشجيع ، سواء كان الشخص الذى يكتب إليه أسقفاً أو كاهناً أو راهباً أو مؤمناً عادياً ، إذ لم يخرج أحد من نطاق اهتمامه مهما كان مركزه أو موقعه ، وقد نجح فعلاً فى إرجاع الكثير من المشاهير والعظماء إلى حظيرة الكنيسة [٢٢] .

ولعظم غيرته الرسولية كان يعتبر التغاضى عن أى إهانة موجهة

لله خطية [٢٣] فيقول : «إننا نخطئ عل حد سواء حينما ننتقم لأنفسنا من الإهانات الصادرة فى حقنا ، وحينما لا ننتقم من الإهانات الصادرة فى حق الله ، فيجب إذاً أن نحتمل بوداعة وصبر كل إهانة موجهة لنا ، وأن نصفح عنها بسهولة ، ولكن عندما توجه الإهانة لله ، فوقتئذ يكون أمراً عادلاً وضرورياً أن نتصف بالغيرة ونظهر الغضب المقدس المؤسس على محبة الله ، لكننا نفعل عكس ذلك تماماً إذ أننا نمتلئ غضباً ونشتعل بنار الغيرة ضد أعدائنا نحن ، أما فيما يخص الله وكنيسته فنحن فاترون متغاضون ، فموسى النبى ـ أكثر الناس حلماً ووداعة ـ احتمى غضباً ضد شعب بنى اسرائيل عندما صنعوا العجل الذهبى ليسجدوا له ، وفى هذا الموقف ، كان غضبه أكثر قداسة من أى حلم أو وداعة ، وإيليا ايضاً تسلح بالغيرة المتقدة ضد عابدى الأصنام ، والقديس يوحنا المعمدان ضد هيرودس الملك... وهؤلاء القديسون قد انتقموا من الإهانة الصادرة ضد الله ، وفى نفس الوقت كانوا يتغاضون عن الإهانات الموجهة لهم ، ورغم أن الله أكثر اقتداراً بما لا يُحد على الإنتقام لذاته ، لكنه مع ذلك أراد أن يشترك الأبرار فى الدفاع عن الحق ، منتقمين بقدر استطاعتهم

من الإهانات الموجهة له ، فهذا هو التدبير الذى كان القديسون يتخذونه طريقاً لهم» [٢٤] .

ووصلت غيرة إيسيذروس إلى حد أنه كان يوبخ حاكم المقاطعة بسبب المظالم التى كان يصنعها ، وبسبب عدم مراعاته لحقوق الكنيسة ، وقد جاءت توبيخاته هذه بثمارها المرجوة .

وإذ كان يوبخ المخطئين ويقومهم ، لذلك كان له بالطبع أعداء كثيرون [٢٥] ، ولكن ذلك كان سبب تعزية له لأنه يتألم من أجل الحق ، وكان يقول لأعدائه: «أنت أعطيتمونى إكليلاً دون أن تدروا ، ما دام الله قد وهب لى لا أن أؤمن به فقط بل أن أتألم ايضاً من أجله» [٢٦] .

وكان يقول أنه يقتدى بالرسل الذين تألموا كثيراً لأجل المسيح [٢٧] ، فالإهانات التى كانت توجه له لم تكن تصيبه بأى يأس أو احباط ، بل كان مستعداً أن يحتمل إهانات أكثر ما دام ذلك من أجل التقوى والحق ، وكان يقول ايضاً أنه لم يصل بعد إلى الكمال الذى وصل إليه أخرون أى أن يشكر من يسيئ إليه ويصلى لأجله [٢٨] .

وهكذا كان إيسيذروس يبتهج بأى إهانة توجه له بل وكان يشكر كل منْ يسيئ إليه ، كما يتضح من قوله فى إحدى رسائله لأحد أصدقائه: «إن كان لابد أن كل منْ يصنع الأمور الواجبة عليه ويتمم إلتزاماته حسناً ، يُعامل بالإساءة وتحيق به الإضطهادات والأتعاب ، وأن كل منْ يصنع الشر يُمدح ويُكافئ ، فلا شك أنه يجب على الإنسان أن يختار الأمر الأول بصنع الخير دون أن يهتم بالأتعاب التى تصيبه نتيجة لذلك ، لأننا إذا نظرنا إلى الجعالة السمائية التى وعد الله أن يجازى بها الفضيلة ، وإلى العقاب المريع المعد لمجازاة الخطية ، نجد أن الفضيلة وحدها هى إكليل ومكافأة البار ، كما أن الشر والخطية هما نفسهما عقاب الشرير ، لذلك الفضيلة محبوبة دائماً حتى وإن اُضطهدت واُتهمت اتهامات باطلة ، والرذيلة مستحقة دوماً الكره والبغضة»[٢٩] .

ولم ينزعج إيسيذروس من المتاعب الشديدة التى واجهت الكنيسة فى عصره ، سواء من الهراطقة أو من السلوك الردئ لبعض رجال الاكليروس ، إذ كان مقتنعاً أنه لابد من هذه الألام لأجل تنقية المختارين .

وإلى إيسيذروس يرجع الفضل فى إدخال اسم القديس يوحنا ذهبى الفم ضمن مجمع قديسى كنيسة الاسكندرية ، وذلك لانه نجح فى إقناع القديس كيرلس عمود الدين نحو عام ٤١٦م بقداسة ذهبى الفم[٣٠] وضرورة إعادة اسمه داخل داخل مجمع القديسين *Diptyques* .

وتعيد له كنيستنا يوم ١٠ أمشير من كل عام .

بركة صلاته تكون معنا آمين .



كتاباته

من بين الاباء الأولين ، يعتبر القديس إيسيذروس الفرمى صاحب أكبر مجموعة رسائل وصلتنا ، وقد تجمعت رسائله الكثيرة فى دير *Ascémètes* فى القسطنطينية فى أربع مجلدات يحتوى كل منها على خمسمائة رسالة ، ونقرأ فى التاريخ أن ساويرس الأنطاكى قد أحصى نحو ثلاثة ألاف رسالة من وضع إيسيذروس متناثرة فى العديد من الكتب ، لكنه لاحظ أن فى الكتاب الواحد قد نسخت بعض الرسائل مرتين أو ثلاث مرات ، وأن الترتيب الرقمى الأصلى لم يعد متبعاً ، ويرى سويداس *Suidas* أن إيسيذروس كتب ثلاثة ألاف رسالة فى شرح بعض إصحاحات من الكتاب المقدس ، بينما اعتقد نيسفورس كاليستوس *Nicéphore Calliste* أنه كتب عشرة ألاف رسالة ، وأياً كان العدد ، إلا أنه وصلنا من هذه الرسائل ـ بعد إصدار العديد من الطبعات لها ـ عدد ٢٠١٢ رسالة ، وبتحديد أكثر ١٩٩٧ رسالة لأن بعضها مكرر .

وقد كان هناك اعتقاد لزمان طويل أن لإيسيذروس ثلاث مقالات ، وأن بعض من رسائله لم ينشر بعد ، لكن الحقيقة هى أن هذه المقالات الثلاث تمثل جزءً أساسياً من مجموعة رسائله ، وهى:

١) مقالة عن عدم وجود القدر [١] .
٢) مقالة ضد اليونانيين [٢] .
٣) مديح للفضيلة [٣] .

أما الرسائل التى كان يُشك فى أنها موجودة ولم تُنشر ، فقد أثبتت الأبحاث والدراسات الحديثة ، أنها إما أن تكون موجودة بالفعل ضمن مجموعة رسائله التى وصلتنا ، وإما أنها منحولة وليست من وضع إيسيذروس .

وكثيراً ما أُثيرت تساؤلات عن صحة وشكل هذه الرسائل ، فالعديد منها يفتقر إلى المقدمة والخاتمة المعتادة ، والبعض ينقسم إلى عدة شذرات ، والبعض عبارة عن استشهادات ومقتطفات ، أو نقل عن أعمال كلاسيكية أو أدبية ، لكن الأدلة الواردة داخل الرسائل نفسها ، سواء تاريخية أو جغرافية تشهد بصحتها ، فكل

مراسلي إيسيذروس كانوا معاصرين له (أكثر من ٤٢٠ مراسل ، منهم نحو ١٠٤ من السلطات الحاكمة ، ٣٤ من مدينة بيلوزيوم ، ١٧١ من الكنيسة ، ٦٤ من الأوساط الرهبانية) .

والفراغات الموجودة وسط الرسائل ، تُنسب بلا شك إلى هؤلاء الذين جمعوها بعد نياحته بزمان يسير ، وفي الغالب كان هؤلاء رهباناً من اقليم بيلوزيوم (بطرس الأرشمندريت ، والرهبان نيلوس وبولس وأوديون وأخرون) إذ ما بين عامى ٤٤٠:٤٤٥م جمعوا رسائل إيسيذروس ورقموها بدون تدقيق كثير ، وسرعان ما انتشرت هذه المجموعة ـ والمقتطفات والشذرات المأخوذة منها ـ في الامبراطورية الشرقية كلها ، وهكذا منذ النصف الأول من القرن الخامس تظهر استشهادات من إيسيذروس في أول مجموعة لأقوال الآباء *Apothegms*.

أهمية رسائله

وجه إيسيذروس رسائله الكثيرة هذه إلى المؤمنين والأساقفة والكهنة والرهبان ، إلى الامبراطور وحكام الأقاليم والأطباء

واللغويين... الخ ، وتكمن أهمية هذه الرسائل في عمقها لا في شكلها ، وهي ـ بصفة عامة ـ قصيرة ومحددة للغاية ، وتقدم تعاليم كثيرة في كلمات قليلة بأسلوب بسيط رقيق ، وكان إيسيذروس يحرص دوماً أن يعيش ويعمل بما يعلمه للآخرين ، وكواحد من أبرز كُتاب أدب الرسائل في عصره ، يرى أن الرسالة (٤) يجب ألا تنقصها الرقة والمجاملة ، لكن يجب بالمثل البعد عن الرياء ، لأن العيب الأول يجعل الرسالة مملة ، والعيب الثاني يجعلها منتقدة ، فالرقة غير المبالغ فيها تجمع مع الفائدة لطف ، ويقول عن أسلوب توبيخ الاخرين وتقويمهم: «البعض يوبخ بقساوة وجفاوة ، والبعض بعذوبة ولين ، لأنه لا يمكن ربح الجميع بطريقة واحدة ، مثلما لا يمكن معالجة الأمراض وشفائها بدواء واحد» .

وتدل رسائله على عقل دارس وروح حارة ، وعلى تمسك راسخ بالأرثوذكسية ، وتوضح كيف كان الفرمي معلماً يقظاً وأباً حكيماً يسعى لتقويم الرذائل ، وقد مدح فوتيوس *Photius* رسائله لأسلوبها الرسولي (٥) .

ويتضح ايضاً من هذه الرسائل عمق تعليمى واعى ، وسواء كانت تتكلم عن أحداث كنسية أو إجتماعية ، أو عن مناقشات عقيدية ، أو تأملات فى الكتاب المقدس ، أو كانت تعالج أموراً إيمانية وأخلاقية ، أو تشير إلى مبادئ وأسس الحياة الروحية والرهبانية ، إلا أنها تدل دوماً على تاريخ وفكر وإتجاهات العصر الذى كُتبت فيه .

تدل هذه الرسائل على كم كان هذا البار متعمقاً فى معانى الكلمات وأية براعة عظيمة كان يستخدمها لإقناع الناس وجذبهم إلى عشق الفضيلة ، وكم هى درايته بتاريخ الكنيسة ، وفهمه واستيعابه للقوانين الكنسية الكثيرة ، وكانت هذه الرسائل جميعها موضع مديح وثناء الجميع ، إذ أنها لم تكن أقل اعتباراً من كتابات القديس يوحنا ذهبى الفم من حيث الغيرة فى مقاومة الخطايا والعادات الرديئة وتهذيبها .



ملامح من فكره

تعكس لنا مراسلات إيسيذروس صورة لحقبة وعصر ، فهذا الراهب الذى كان يعيش بعيداً عن العالم ظل دوماً مهتماً بكل المشاكل والأتعاب التى كانت تواجه المؤمنين فى أيامه ، فإذ اتبع نصيحة ذهبى الفم ، ظل إيسيذروس ، رغم بعده عن العالم ، خادماً لمنْ فى العالم ، لذا كان يشرح ويعلق ويحث ويشجع ويهذب ويوبخ ، وبحرية كاملة فى الحديث ، كان يدين ظلم الحاكم أو القضاة ويحث الأساقفة والاكليروس أن يعيشوا حياة أكثر تطابقاً مع الإنجيل ، وقد سمحت له خبراته المتنوعة أن ينصح فى الأمور الخاصة بالمعرفة أو البلاغة ، وأن يفسر ايضاً بدقة الصفحات العسرة الفهم من الكتاب المقدس ومن النصوص الليتورچية ، وأن يلقى الضوء على الطريق الضيق الذى للحياة النسكية ، وإذ كان هو نفسه كاهناً ، كان يذكّر الاكليروس - خاصة فى بيلوزيوم - بواجبات خدمة الكنيسة ، وكان يحث المؤمنين على احترام الكهنوت .

وبجانب كونه مفسراً بارعاً ومعلماً رهبانياً مختبراً ، كان إيسيذروس كاتباً بليغاً يكتب بلغة يونانية تثير الاعجاب حتى انه صار فيما بعد نموذجاً ومثالاً للبلاغة اليونانية مع اغريغوريوس النزينزى وباسيليوس الكبير .

الكتاب المقدس

١) وحى الكتاب المقدس

رغم أن إيسيذروس الفرمى لم يقدم لنا قائمة بأسماء أسفار الكتاب المقدس ، إلا أنه كان يؤمن بأن كل الأسفار مُوحى بها من الله ، فالله هو الذى تكلم بلسان موسى [١] والأنبياء [٢] ، والروح القدس هو الناطق فى المزامير [٣] ، والرسل كانوا مملوئين من حكمة الله [٤] ، وعندما كتب القديس يوحنا الحبيب إنجيله ، كتبه بوحى الروح القدس [٥] ضد الأخطاء الموجهة للوحى الإلهى [٦] أو لأسرار الأسفار المقدسة [٧] ، ويؤكد إيسيذروس أن هؤلاء الذين يظنون أنهم أكثر حكمة من الأسفار الإلهية إنما يضلون أنفسهم ويضلون الآخرين ايضاً [٨] .

٢) الإتفاق والإختلاف بين العهدين

كتب إيسيذروس فى رسائله شارحاً أن الله علّم اليهود بالعهد القديم ، وعلمنا نحن المسيحيين بالعهد الجديد ، فهو مشرّع العهدين القديم والجديد [٩] اللذين يتفقان تماماً فيما بينهما ، ويسمى إيسيذروس هذا الإتفاق والهارمونية بين العهدين باسم «سيمفونية συμφωνία العهدين» [١٠] ، ومع ذلك هناك اختلافات بين العهدين [١١] ، ليس فقط لأن الناموس الموسوى قد أُعطى لليهود وحدهم ، بينما الإنجيل قد أُعطى للعالم كله [١٢] ، لكن ايضاً لأن الإنجيل أعظم وأسمى بكثير من الناموس [١٣] ، إذ أن هذا الأخير قد أُعطى لليهود القساة القلب غير العارفين [١٤] ، ولذلك كان لابد أن مشرع الناموس يعاملهم بحسب ضعفهم ، وبالعهد القديم كان الله يرشدهم ويقودهم إلى التعاليم العالية التى للمسيح والرسل ، فالعهد القديم لم يكن سوى تمهيد واستعداد لفلسفة الإنجيل الجديدة [١٥] ، فبينما كان موسى يعاقب من يخطئون بالفعل والعمل ، أراد المسيح أن يستأصل الشر من جذوره فمنع حتى مجرد التفكير أو الشهوة الشريرة [١٦] ، وهذا هو الفرق

بين الجسد والروح ، فقد كان الناموس الموسوى جسدانياً σαρκικόσ بينما كان الإنجيل ناموساً روحياً πνεύματοσ [١٧] ، كما أن تعاليم موسى والأنبياء كانت مستترة وراء الرموز [١٨] والتشبيهات [١٩] ، بينما الإنجيل يقدم الحق بوضوح وتحديد [٢٠] .

٣) التفسير

لم يكتب إيسيذروس الفرمى تفسيراً لأسفار الكتاب المقدس ، لكنه قدم الكثير من الشروحات والتفاسير فى إجاباته على تساؤلات مراسليه أو فى تعليقاته على الأحداث المعاصرة له ، وكان يرى أن الشارح أو المفسر يجب ألا يفسر كل كلمة وحدها ويفصلها عن باقى النص [٢١] ، بل يجب أن يتمسك بأمانة وصدق بالكتاب المقدس وتعاليمه دون تغيير أو تبديل المعنى الحقيقى بمعنى وفكر من عندياته هو [٢٢] .

وكان إيسيذروس مفسراً بارعاً ، بعد أن تتلمذ على أعمال القديس يوحنا فم الذهب ، وكان يشرح دوماً صفحات من

العهدين القديم والجديد ، غالباً فى إجاباته على الأسئلة الخاصة بالآيات العسرة الفهم ، ورغم انه كان يميل للمنهج الرمزى فى التفسير إلا أنه كثيراً ما كان يقنع بالتفسير الحرفى (وهنا كانت معرفته الفيلولوچية بأصول الكلمات عوناً له) الذى يستطيع مراسلوه أن يفهموه ، ومن المجموعات التفسيرية التى تظهر فيها استشهادات من إيسيذروس يتضح لنا مدى عظم شهرته فى مجال التفسير .

٤) أهمية الكتاب المقدس

الكتاب المقدس يقدم عقيدة سمائية [٢٣] ، ويسميه إيسيذروس الفرمى «قانون الحق *une règle de vérité* - κανόνα τῆσ ἀληθείασ» [٢٤] وهو «معونة للخلاص *un viatique de salut*- ἐφόδιον τῆσ σωτηρίασ» [٢٥] ورغم أن الأسفار الإلهية كانت جهالة فى أعين اليونانيين ، إلا أنها فاقت كل البلاغة اليونانية [٢٦] .

ويؤكد إيسيذروس على أهمية قراءة الكتاب المقدس ، فهو

نافع جداً للإنسان ، إذ يقوم العادات الرديئة والخطايا [٢٧] ، ويعزى الإنسان فى ضيقاته وأحزانه [٢٨] ، يعلن حكمة الله ، يهذب الجاهل ويجعله حكيماً [٢٩] ، ولأن الإنسان لا يقرأ فى الكتاب المقدس بالقدر الكافى ، لذلك ضعفت المسيحية (يتحدث عن أيامه) ويقع العديد من الكوارث والأحزان [٣٠] ، لكن لابد بجانب القراءة أن يهتم الإنسان بتنقية قلبه [٣١] ، كما لابد من الفهم فى القراءة كى نؤمن بالوصية ونحيا ما هو مكتوب [٣٢] ، ويرى أن الكتاب المقدس ليس فقط يجب أن «يهضم» ويحفظ ، بل هو ايضاً نقطة البدء لنوع من التأمل المرتبط بالعمل .

ويجب أن يقرأ الإنسان أسفار سليمان بالترتيب التالى:

الأمثال: ليتعلم الفضائل الأخلاقية

الجامعة: ليعرف زوال كل مباهج ومسرات هذا العالم

نشيد الأنشاد: ليتذوق الحلاوة الروحية [٣٣] .

العقيدة

١) الثالوث

فى حديثه عن عقيدة الثالوث القدوس ، يؤكد إيسيذروس على ضرورة التمسك بقرارات مجمع نيقية وقانون الإيمان النيقاوى [١] وبفكر القديس أثناسيوس ، ويجب أن يقول الإنسان:

واحد هو الجوهر الإلهى — *unique est l'essence divine*

وثلاثة هى الأقانيم [٢] — *et trois sont les personnes*

وهذا دون الخلط بين الأقانيم والجوهر ، لأن الوحدة هى بحسب الجوهر ، بينما التثليث فبحسب الأقانيم [٣] .

وعلى أية حال لم يكن إيسيذروس لاهوتياً بالمعنى الأكاديمى للكلمة ، فالله بالنسبة له لم يكن موضوع نقاش وجدال بل تأمل ، ففى وحدته وخلوته فى البرية ، وفى تأملاته فى الأسفار المقدسة ، ترك إيسيذروس البليغ بلاغته كى يدخل فى صمت الكلمة الإلهية .

٢) الخريستولوچى

شرح الفرمى أن سقطة الإنسان الأولى صارت سبباً لشرور أخرى أردأ لجسد الإنسان ولنفسه ايضاً ، فمن ناحية أخضعت الجسد للألام والموت (٤) ، ومن ناحية أخرى جذبت النفس إلى الخطية (٥) .

لكن إذ اشفق الله على الإنسان وتحنن عليه ، ارسل ابنه ليفديه ، ولذلك تجسد الكلمة «فى ومن *dans et de- εν αυτη και εξ αυτησ*» العذراء مريم (٦) وصار حقاً مشابهاً لنا فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها (٧) ، وحُبل به بدون زرع بشر ، وصار حقاً إنساناً بينما استمر ايضاً إلهاً حقيقياً مستحقاً لعبادتنا ، ففى صيرورته ما لم يكنه (أى إنسان) لم يفقد ما كانه (أى الوهيته) (٨) ، إذ هو ابن الله دون أن يتحول فى إتخاذه لشكلنا (شكل العبد) أو يتغير عما كان (٩) .

وقد دافع القديس إيسيذروس عن وحدة المسيح ورفض القول بحدوث اختلاط أو امتزاج أو تغيير أو انفصال فى التجسد (١٠) ،

ويقول فى إحدى رسائله: «صار اللاهوت والناسوت فى المسيح شخصاً واحداً ، أقنوماً واحداً ، موضوع العبادة» (١١) .

وإذ تجسد ، صار الذبيحة الكفارية عنا كلنا ، وصالحنا مع أبيه واعطانا نعمة التبنى أى أن نصير أبناء لله دليلاً على سلطان العدل الإلهى وفى نفس الوقت دليلاً على صلاح الله غير المحدود (١٢) ، وقدم دمه الثمين لأجل الإنسان (١٣) ومات لأجل الخطاة (١٤) ، وكفر (بسبب لا محدوديته) عن خطية البشرية كلها (١٥) ، وهكذا ، ليس فقط هزم الموت بموته (١٦) ،وصلب الخطية (١٧) ، بل وايضاً انتصر على الشيطان (١٨) وكل الألهة الكاذبة (١٩) ، وبقيامته أعطانا أن نقوم يوماً ما مثله ، ووهبنا الحياة الأبدية (٢٠) .

٣) التبرير والخلاص

يردد إيسيذروس الفرمى كثيراً قول القديس يعقوب الرسول «الإيمان بدون أعمال ميت» (يع٢:٢٠) فالإيمان وحده لا يخلص الإنسان ، بل لابد أن تصحبه الأعمال (٢١) ، ومثل البحار الذى لابد أن ينتفع بالرياح التى يرسلها الله له ، كذلك يجب أن

يتعاون الإنسان مع الإرادة الصالحة التى يهبها الله له لأجل الصلاح [٢٢] ، ويجب أن تتلازم الفضيلة مع العقيدة الصحيحة والتقوى [٢٣] ، وبالنعمة الإلهية مع العمل الإنسانى ، يخلص الإنسان [٢٤] ، لكن يؤكد إيسيذروس أن الإنسان لكى ينال النعمة ، لابد أن يجاهد فى تتميم الوصايا ويتضرع بحرارة لأجل نوالها ، لكن إذا لم يتمم الإنسان الوصايا فعبثاً تكون تضرعاته وطلباته [٢٥] فالله لا يرفض من لديهم إرادة صالحة ويفعلوا كل ما يستطيعون [٢٦] ، والإنسان من جانبه يجب أن يفعل كل ما يستطيع ليتعاون مع النعمة الإلهية [٢٧] .

وشرح إيسيذروس كيف أن الاشتياق للخلاص يوجب على الإنسان استخدام الوسائل التى تهبه له [٢٨] ، لكن يجب ألا ينسب الإنسان لنفسه الصلاح الذى يعمله ، بل إلى النعمة [٢٩] وبدلاً من أن يعتمد على نفسه ، يجب أن يضع كل اتكاله وثقته فى معونة الله القوية [٣٠] ، وإذا هُزم ، يجب ألا ينسب هزيمته إلا إلى نفسه [٣١] ، وكل إنسان مسئول عن خلاصه ، ولن يتبرر أو يدان إلا بحسب استخدامه الصالح أو الردئ لإرادته وحريته [٣٢] .

٤) نقاط عقيدية أخرى

تتضح أرثوذكسية إيسيذروس بصفة خاصة فى تقييمه للهرطقات السابقة والمعاصرة له ، وهو يعرف جيداً البدع التى من القرن الثانى والثالث مثل هرطقة مرقيون [٣٣] ، مونتانوس [٣٤] ، مانى [٣٥] ، نوفاتيان [٣٦] ، وسابيليوس [٣٧] ، لكنه كان يؤكد أكثر على رفض الهرطقات التى تهاجم عقيدة الثالوث بإنكارها لاهوت الابن مثل الأريوسيين والأنوميين [٣٨] ، أو بإنكارها لاهوت الروح القدس مثل المقدونيين [٣٩] ، وهو يهتم بالأكثر بالهرطقة التى ظهرت فى عصره أى النسطورية .

كما كان يهاجم اليهود ، ولأنهم كانوا يعترفون بالأسفار الإلهية ، لذا كان يجادلهم مستعينا بها وبأعمال مشاهير اليهود مثل چوزيفيوس وفيلون *Joseph et Philon* ، وكان يقول لليهود «أنتم تنكرون لاهوت المسيح ، ولكن ألم يشهد چوزيفيوس أن المسيح صنع معجزات وأنه كان مرسل من الله كمعلم للجنس البشرى؟ [٤٠] وفيلون من الناحية الأخرى ألم ينسب الطبيعة اللاهوتية إلى اللوغوس؟» [٤١] .

وأوضح إيسيذروس أن النبوات المسيانية قد تحققت واكتملت فى يسوع المسيح ، وأكد على حقيقة وواقعية الحبل به فى أحشاء العذراء مريم [٤٢] .

وفى رده على الوثنيين ، يتحدث عن الأساطير والميثولوچيا وعن فلسفة من يهاجمون المسيحية ، وكما يتضح من مراسلاته ، كان يؤكد أنه يكفى أن نقارن بين الأسفار المقدسة وكتابات الوثنيين لنعرف فى الحال أية ديانة هى الحقيقية [٤٣] ، فالأسفار تتضمن حقائق سامية تحث الإنسان على احترامها ، بينما كتابات الوثنيين مملوءة بالقصص والخرافات والحماقات المستوجبة الإحتقار ، وهكذا ، الأساطير مليئة بعدم التقوى وكل فجور حتى انه يستحيل لعيون العقل السليم أن تقبل عبادة الألهة [٤٤] ، هذه العبادة التى تحمل فى داخلها أدلة واضحة على كذبها وضلالها ، بينما تحمل المسيحية سمات الحق [٤٥] ، ورغم أن البعض يتهم المسيحية بأنها جديدة ، لكنها ليست كذلك إلا لأنها تصلّح وتقوّم أخطاء قديمة [٤٦] .

وكان إيسيذروس يقارن بين المسيحية والوثنية ، وكثيراً ما كان

يتحدث عن البراهين الدالة على حقيقة وصدق المسيحية التى لا يوجد خارجها خلاص .

ولا يرفض إيسيذروس الفلسفة اليونانية بجملتها ، لأنه يوافق على دراستها بجانب دراسة الأسفار المقدسة [٤٧] ، لكنه يشك فى أن الإنسان يستطيع أن يجنى منها ثماراً [٤٨] ، وشرح أن حكماء اليونان لم يكونوا روحانيين *πνευματικοι* – مثل القديس بولس الرسول الذى ارتفع بالإيمان فوق العقل – بل هم نفسانيون *ψυχικοι* لا يعتمدون إلا على العقلانيات والقضايا المنطقية ، ولأنهم يرفضون تعليم الكتاب المقدس ، لذا يجب دحضهم بالبراهين والحجج من العقل أو من آراء فلاسفة أخرون [٤٩] ، وهكذا كان منهج إيسيذروس فى أمور عديدة ، فكان يرد على آراء الفلاسفة بآراء فلاسفة أخرون ، مثلما قدم آراء إيسوقراط *Isocrate* ضد فكر دموسيتين *Demosthene* فى دفاعه عن عقيدة القيامة [٥٠] .

ويهاجمهم إيسيذروس على وجه الخصوص فى عقيدتهم الخاصة بالقدر وفنائية الإنسان ، إذ ليس هناك «قدر» [٥١] ،

والقول بفكرة القضاء والقدر يعطى مفهوماً خاطئاً عن الألوهية وينكر العناية الإلهية (٥٢) ، لأنها هى التى ترتب وتدبر سائر الأمور والأحداث وليس النجوم أو القدر كما يقولون (٥٣) .

وفى تعليمه عن النفس البشرية ، فند إيسيذروس الأراء القائلة أنها جزء من الجوهر الإلهى (٥٤) ، كما رفض وفند ايضاً رأى العلامة أوريجانوس القائل بالوجود السابق للنفس ، وأنها سقطت قبل أن تأتى وتتحد بالجسد (٥٥) ، ويؤكد إيسيذروس على أبدية (٥٦) النفس وحريتها (٥٧) وعلى أن الله لا يرغمها على طاعته بل يحترم حريتها ، والاستخدام الصالح أو الردئ لهذه الحرية هو وحده الذى يدين الإنسان أو يبرره (٥٨) .

أما عن الأسرار فقد علم إيسيذروس بصحتها وفاعليتها ، إذ أكد أن فاعلية الأسرار لا تتأثر بشخصية أو أخلاقيات من يمنحها ، وقد قدم هذه التعاليم لمسيحى الفرما الذين رفضوا أن ينالوا الأسرار من يدى اكليروس الإيبارشية ـ كما أسلفنا ـ ولذلك شرح لهم أن الحياة غير المستقيمة لخديم السر ، لا تعوق على الإطلاق فاعلية الأسرار التى ينالوها من يديه (٥٩) .

وفى حديثه عن الأفخارستيا ، يؤكد على عقيدة الحضور الحقيقى للجسد والدم بلغة لا تترك مجالاً للشك ، فالروح القدس يحول الخبز العادى المقدم على المائدة السرائرية إلى جسد حقيقى لابن الله (٦٠) ، وخدمة الكهنة حول المذبح هى مثل خدمة يوسف الرامى للمسيح ، ويسمى إيسيذروس التناول «شركة» لأن يوحدنا مع الله ويجعلنا شركاء فى ملكوته (٦١) .

ويقارن قديس الفرما بين الزواج والبتولية ، فمثلما السماء أفضل من الأرض ، والنفس أفضل من الجسد ، كذلك البتولية أفضل من الزواج (٦٢) ، فالزواج حسن لكن البتولية أحسن (٦٣)

ورأى فى الكنيسة جماعة القديسين المتحدين بإتحاد الإيمان المستقيم وبإتحاد الحياة الصالحة (٦٤) ، ومع ذلك لا ترفض الخطاة ولا تقصيهم عنها لأن المسيحيين كلهم ، المنتشرون فى سائر الأرض ، يكونون جسد المسيح (٦٥) .

كما تحدث عن تكريم رفات الشهداء وعن البركات التى تهبها (٦٦) ، ومدح خدمة تزيين مزارات الشهداء واعتبره عمل

تقوى ، لكن الأفضل منه هو الإقتداء بفضائلهم [٦٧] .

كذلك قدم إيسيذروس فى مراسلاته شهادة على إيمانه بعقيدة قيامة الأجساد [٦٨] .

اللاهوت الروحى والسلوكى

١) الاكليروس

تكلم إيسيذروس عن ضعفات الاكليروس فى عصره ، ورغم انه يعرف ويقدر فضائلهم ، إلا أنه كتب لأجل توبيخهم أكثر مما لمدحهم .

وكانت الخطية المنتشرة فى أيامه هى السيمونية La *Simonie*(بيع الأسرار بالمال) والتى تجعل من الأسرار تجارة رديئة ، وتحط من عظمة الخدمة الكهنوتية وتجلب على صاحبها مجازاة الله العظيمة [١] .

وايضاً كان بعض الكهنة فى عصره يطمعون فى نوال رتبة الأسقفية المقدسة بحسب كلمات الرسول بولس «إن ابتغى أحد

الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً» (١تيمو ٣:١) فشرح لهم إيسيذروس كيف أنهم يسيئون تفسير الأية ، لأن تكملة الإصحاح كافية لأن تخمد مثل هذه الرغبة ، فالغالبية فى الواقع لا تتوافر فيها الصفات التى جعلها الرسول بولس لازمة وأساسية لمن ينال رتبة الأسقفية الجليلة ، فقد أراد الرسول أن يجعل من يشتهى الأسقفية يحترس لئلا يشتهيها دون أن يأخذ فى اعتباره الفضائل التى تتطلبها من سهر ورعاية وأعمال وأتعاب وأخطار ، وأوضح إيسيذروس أن هؤلاء فقط الذين يعيشون حياة القديس بولس الرسول [٢] ، يحق لهم أن يشتهوا الأسقفية ، والذين يعتبرون أن المال ليس لإرضاء أهوائهم وشهواتهم ، بل لعمل الأبوة الروحية [٣] ، ويجب أن يقتدى الأسقف ويتمثل بالراعى الصالح [٤] ، وأن يكون متعلماً ويعرف كيف يتحدث [٥] ، ويجب ايضاً أن يهتم بخلاص النفوس ولا يهتم بالمظاهر ولا بالمال [٦] .

ويقارن إيسيذروس فى إحدى رسائله بين الاكليروس فى أيامه والاكليروس فى الماضى ، ففى عصره كانوا يسعون للكهنوت لأجل كرامته :

«بينما فى الماضى لم يكن ينـل هذه الرتبة إلا أصحاب الفضائل ، اليوم ينالها منْ يحبون المال .

قبلاً كانوا يهربـون من الأسقفية المقدسـة بسبب عظـم كرامتـها ، اليوم يتمناها الإنسان ويقبلها بإرادته .

قبلاً كانوا يكرمون مبدأ الفقر الاختيارى ، اليوم يبحثون عن المـال .

قبلاً كانوا يتأملون فى دينونة الله ، اليوم لم يعودوا يفكرون فيـها .

قبلاً كانوا مستعدين لتحـمل الألـم ، اليوم مستعدين لأن يؤلموا الأخـرين .

وتحولت كرامة الكهنوت إلى رغبة فى السيطرة والتحكم ، ويتحول الإنسان من الاتضاع إلى الكبرياء ، من الصوم إلى الملذات ، من التدبير والتوفير والتوزيع (على الفقراء) إلى التحكم وامتلاك ما للكنيسة» (٧) .

أما الشمامسة ، فكتب إيسيذروس أنهم عين الأسقف ، ويجب عليهم أن يهتموا بما للبيعة ويحرسوه (٨) .

ولابد أن تتفق حياة الاكليروس وسيرتهم مع الوصايا والتعاليم التى ينادون بها ، وإلا بدلاً من أن يتوب سامعيهم ، سوف يسخرون منهم (٩) ، فالحياة التقـية والسلوك الصالح أفضل من الكلام المنمق البليغ ، لأن الإنسان لا ينمو فى الحياة الروحية بحسن الكلام بل بالعمل (١٠) ، ويقول إيسيذروس: «حياة بدون كلام خير من كلام بدون حياة ، فالأولى بالصمت تنفع ، أما الثانية فبالصياح تزعج ، لكن إذا اقترنت الحياة بالكلمة ، تصبح مثال كل فلسفة» (١١) .

٢) الرهبان

يقول بيير إيڤيو *Pierre Evieux* عن أهمية فكر إيسيذروس الرهبانى :

«إن النصائح الرهبانية العديدة الخاصة بالحياة النسكية ، والتى وجهها إلى تلاميذه ، تجعل من إيسيذروس مصدراً هاماً للتعرف على نمط الحياة الرهبانية الذى تمتزج فيه التأثيرات القبطية بالكبادوكية ، فالحياة الرهبانية القبطية التى تجمع بين الشركة

والوحدة ، والتى يكون فيها دور الأب الروحى واضحاً وهاماً ، ترتبط بنمط حياة الشركة الباسيلية الشهيرة بقوانينها النسكية» [١٢] .

رأى إيسيذروس فى الحياة الرهبانية مثال الكمال المسيحى وتتميم جميع وصايا الله [١٣] ، وكان يعتبر يوحنا المعمدان نموذجاً ومثالاً للحياة الرهبانية [١٤] ، وهذه الحياة تتطلب من الإنسان أن يعيش فى خلوة لكى ينسى ما تركه ، وفى طاعة ليترك عاداته الأولى ويجحدها ، وفى نسك وإماتة ، ويجب على الراهب الابتعاد عن تشتيت الأعمال [١٥] ، وألا ينزل المدن ولا يتردد على المناظر العامة [١٦] ، وأن يكون متضعاً ، إذ عبثاً أن يترك الغنى ومباهج العالم ، إذا سلم نفسه للكبرياء [١٧] ، ويقول الفرمى: «كما أن علو التواضع عظيم ، كذلك هو السقوط فى الكبرياء ، لذا أنصحكم أن تقبلوا ذاك ولا تسقطوا فى هذا» [١٨] .

يجب ألا يسلك الراهب بحسب إرادته ورغباته ، بل بحسب مشيئة وإرادة رؤسائه الذين لهم خبرة حياة طويلة فى هذا الجهاد الرهبانى ، فكما انه لأجل تعلم حرفة أو مهنة أو فن يبحث

الإنسان عن أكثر المعلمين براعة وشهرة ، كذلك لأجل تعلم الحكمة الإلهية ، لابد من التلمذة لمن اختبروها وعاشوها [١٩] .

ويجب على الراهب أن يكتفى بثوب واحد فقط وأن يقتات بالأعشاب ولكن لابد أن يبتعد عن الأصوام المغالى فيها [٢٠] ، ويجب ألا يفتخر ـ حتى لو كان متوحداً ـ بأنه هرب من التجارب لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قد جُرب [٢١] ، والبرية تقدم للراهب هذه الخاصية ، إذ لا يزعجه القلق أو الهم أو الأمور الرديئة ولا الأحاديث التى تجرح عفته [٢٢] .

ولابد أن يشتغل الراهب بعمل يدوى [٢٣] وألا يتأثر بالكلام الحسن والمديح ، ولو كانت عنده موهبة الكلام ، يجب ألا يبحث عن مسرته ويتحدث أحاديثاً منمقة بليغة [٢٤] .

وعن محبة المال والقنية يعلم إيسيذروس رهبانه قائلاً: «إن حب المال مخيف ، لا يعرف الشبع ، يقود النفس المستعبدة له إلى أسوأ الشرور ، لذلك فلنبتعد عنه من البدء لأنه إذا ساد ، يصبح سيداً لا يُقهر» [٢٥] .

٣) الحياة المسيحية

عديدة جداً هى الصفحات التى يتحدث فيها إيسيذروس عن الحياة المسيحية وعن الخطايا التى يجب أن يحترس منها الإنسان والفضائل التى يجب أن يجاهد لاقتنائها ، فتحدث عن طبيعة ونتائج الخطية [٢٦] ، عن علاج الخطية بالتوبة [٢٧] ، وعن ضرورة الجهاد الروحى [٢٨] ، عن ضرورة رفض التجارب [٢٩] ، عن الصبر فى تحمل الإهانات [٣٠] ، عن الكمال المسيحى ووسائل نواله [٣١] .

ويقول أن هناك ثلاثة أشياء ضرورية للحياة المسيحية: الصلاة ، الفضيلة ، الإيمان [٣٢]... وأكد أن الثياب واللغة ليست هى التى تميز المسيحى الحقيقى ، بل سلوكه وأعماله الصالحة [٣٣] ، وبالاشتراك فى الإفخارستيا يتحد الإنسان مع المسيح كما الرأس مع الجسد [٣٤] .

وكان يرفض ويمنع حضور العروض والمسرحيات لأنها تمثل خطراً روحياً [٣٥] فهى فى الواقع مدرسة للفجور [٣٦] .

وشرح إيسيذروس أن استخدام الأشياء هو الذى يتوقف عليه نفعها من ضررها ، فبحسب استخدام الإنسان لها إما أن تؤدى إلى الصلاح أو إلى الخطية:

فالغنى حسن لهؤلاء الذين يعرفون كيف يستخدمونه بحكمة

الفقر حسن لكن لهؤلاء الذين لهم نفس قوية شجاعة .

الكرامات حسنة لكن لهؤلاء الذين يستخدمونها فى إراحة المتضايقين والمكروبين والمظلومين .

القوة حسنة لكن لهؤلاء الذين يستخدمونها فى الدفاع عن الضعفاء .

إذاً ليست الأشياء هى السبب فى الخطية ، إذ يمكن أن تكون أداة للفضيلة [٣٧] .

وإذ سأله البعض عن سبب نجاح الأشرار ، بينما يتألم الأبرار ، أجابهم أنه لو عومل كل إنسان هنا على الأرض بحسب حقيقته ، لكانت الدينونة غير ضرورية [٣٨] ، لذلك يرى المرء الكثير من الأشرار الناجحين والأبرار المتألمين [٣٩] ، لكن فى الحياة الأخرى سيتألم الأشرار ويبتهج الأبرار [٤٠] .

وعن الفضيلة يقول :« الشر أبعد الناس عن الله ، وفرق بين الانسان وأخيه ، لذلك ينبغى أن نتجنبه ونسرع فى طلب الفضيلة التى تقودنا إلى الله وتجمعنا بالناس» (٤١) .



المصادر

إيسيذروس الفرمى

1) Contra impium Grammaticum 3. 39 CSCO 102, p.182.
2) Ecclesiastical History 1.15.
3) Letter no. 125.
4) Letter no. 251.
5) Letter no. 152.
6) Epist., I, 191.
7) Epist., I, 266.
8) Epist., I, 258.
9) Epist., II, 127.
10) Epist., I, 389.
11) Epist., I, 52,142,154,318; II, 182.
12) Epist., II, 146; III, 312,390.
13) Epist.,V, 223; 229.
14) Epist., V, 552.
15) Epist., I, 39.
16) Epist., III, 178.
17) Epist., I, 26.
18) Epist., I, 119.
19) Epist., I, 118,220.
20) Epist., II, 37.
21) Epist., II, 38; I, 569.
22) Epist., IV, 105.
23) Epist., V, 227.
٢٤) مكسيموس مظلوم: كنز العباد الثمين فى أخبار القديسين - عام ١٨٦٣ - المجلد الثانى - ص ٢١٢-٢١٣.
25) Epist., II, 122.
26) Epist., II, 131.
27) Epist., II, 54.
28) Epist., V, 398.

٢٩) مكسيموس مظلوم: ص ٢١٤.

30) Epist., I, 152.

كتاباته

1) Letter no. 954.
2) Letter no. 1470.
3) Letter no. 646.
4) Epist., V, 133.
5) Epist., II, 44.

ملامح من فكره: الكتاب المقدس

1) Epist., III, 76.
2) Epist., III, 231; IV. 205.
3) Epist., I, 416.
4) Epist., II, 54.
5) Epist., III, 402.
6) Epist., II, 249.
7) Epist., I, 24.
8) Epist., V, 376.
9) Epist., II, 133; IV, 209.
10) Epist., I, 107.
11) Epist., 494.
12) Epist., 53.
13) Epist., III, 53; IV, 11.
14) Epist., IV, 203.
15) Epist., IV, 143.
16) Epist., I, 458; II,243; IV,209.
17) Epist., I, 106.
18) Epist., I, 494.
19) Epist., IV, 157.
20) Epist., I, 401.
21) Epist., III, 136.
22) Epist., III, 292.
23) Epist., V, 120.
24) Epist., IV, 114.
25) Epist., II, 73.
26) Epist., IV, 28.
27) Epist., II, 135.
28) Epist., III, 388.

29) Epist., IV, 160.
30) Epist., IV, 133.
31) Ibid.
32) Epist., IV, 43.
33) Epist., Iv, 40.

العقيدة

1) Epist., IV, 99.
2) Epist., I, 247.
3) Epist., I, 59,67,138, 247; II, 142, 143; III, 18, 112; IV, 99.
4) Epist., IV, 204.
5) Epist., III, 162.
6) Epist., I, 121.
7) Epist., I, 193.
8) Epist., IV, 123.
9) Epist., I, 303.
10) Epist., I, 419.
11) Letter no. 360.
12) Epist., IV, 100.
13) Epist., II, 127.
14) Epist., II, 117.
15) Epist., IV, 73.
16) Epist., IV, 128.
17) Epist., II, 192.
18) Epist., IV, 108.
19) Epist., IV, 150.
20) Epist., I, 123.
21) Epist., III, 73; IV, 65.
22) Epist., II, 2.
23) Epist., IV, 20.
24) Epist., IV, 51.
25) Epist., III, 406.
26) Epist., IV, 171; V, 237, 459.
27) Epist., II, 2.
28) Epist., II, 27.
29) Epist., II, 242.
30) Ibid.
31) Epist., IV, 64.
32) Epist., II, 129.
33) Epist., I, 371.
34) Epist., I, 67, 242, 499, 500.

35) Epist., I, 52, 102, 245, 413; II, 133.
36) Epist., I, 100, 338.
37) Epist., I, 67, 138, 247; III, 149.
38) Epist., I, 241, 353; III, 31, 335, 342.
39) Epist., I, 20, 60, 97, 109, 499, 500.
40) Epist., IV, 225.
41) Epist., II, 143.
42) Epist., I, 141; IV, 17.
43) Epist., I, 21
44) Epist., II, 92; IV, 194.
45) Epist., IV, 27-30.
46) Epist., II, 46.
47) Epist., II, 3.
48) Epist., IV, 127.
49) Epist., II, 146.
50) Epist., II, 43; II, 146.
51) Epist., III, 135.
52) Epist., III, 154.
53) Epist., III, 135, 154, 191.
54) Epist., IV, 124.
55) Epist., IV, 124.
56) Epist., III, 295; IV, 125, 146.
57) Epist., I, 271.
58) Epist., II, 129.
59) Epist., II, 37, 52; III, 34, 394.
60) Epist., I, 109.
61) Epist., I, 128.
62) Epist., IV, 192.
63) Epist., II, 133.
64) Epist., II, 246.
65) Epist., II, 103.
67) Epist., I, 189.
68) Epist., I, 284; II, 43; III, 77; IV, 201; V, 179.

اللاهوت الروحى والسلوكى

1) Epist., I, 26,29,30,106,111,119,145,148,315.

2) Epist., I, 104.
3) Epist., II, 125.
4) Epist., I, 136.
5) Epist., II, 217.
6) Epist., Epist., II, 200.
7) Epist., V, 8.
8) Epist., IV, 188.
9) Epist., I, 112.
10) Epist., I, 14.
١١) أقوال الأباء الشيوخ ـ منشورات النور ـ عام١٩٩٠م ـ ص ١٤٤.
12) Perre Eivieux, "St. Isidorus of Pelusium" in The Coptic Encyclopedia .
13) Epist., I, 278.
14) Epist., I, 5.
15) Epist., I, 25.
16) Epist., I, 92.
17) Epist., I, 15.
١٨) أقوال الآباء الشيوخ ـ ص١٤٤.
19) Epist., I, 260 .
20) Epist., II, 260.
21) Epist., I, 75.
22) Epist., I,92,220.
23) Epist., I, 49.
24) Epist., I, 62.
٢٥) أقوال الآباء الشيوخ ـ ص١٤٤.
26) Epist., III, 261; IV, 52; V, 175,472,561.
27) Epist., I,405; III, 71, 177, 269; V, 8, 9, 253, 307, 317, 506, 539.
28) Epist., I, 4, 44, 464; II, 12, 24, 103-107, 161, 164, 179, 189, 225, 242, 256, 267, 268; III, 60, 205, 228; IV, 195; V, 19, 27, 60, 139, 144, 316, 350, 364, 424, 529, 533,546.

29) Epist., I, 393; II, 76,164,280; III, 83,156, 160, 385; IV, 138; V, 28, 39, 68, 96, 226, 270, 306, 314, 350, 369.

30) Epist., II, 54, 74, 132, 294; III, 26, 330, V, 71, 96, 100, 238, 254, 269, 270, 282, 343, 350, 471.

31) Epist., I, 8, 27, 162, 403, 435, 441, 442; II, 19, 23, 106, 201, 225, III; 118, 280; IV, 41, 162, 288, 296.

32) Epist., V, 162.

33) Epist., IV, 34.

34) Epist., III, 195.

35) Epist., III, 195.

36) Epist., V, 463.

37) Epist., III, 162.

38) Epist., V, 179.

39) Epist., V, 215.

40) Epist., V, 221, 222.

٤١) أقوال الآباء الشيوخ – ص١٤٤.



المراجع

1) Evieux, P. '*St.Isidore of Pelusium*', in The Coptic Encyclopedia.

2) -----------"*Isidore de Peluse, la numerotation des lettres dans la tradition manuscrite*", Revue d'Histoire des Textes 5 (1975): 45-72.

3) -----------"*Isidore de Peluse. L'oeuvre et le milieu*" Doctoral diss. Lyons. 1984.

4) Cross: *Oxford Dictionary of The Christian Church*, under "Isidore of Pelusium".

٥) مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك : **كنز العباد الثمين في أخبار القديسين** – عام ١٨٦٣م – المجلد الثانى – ص ٢١٠:٢١٦.

٦) **السنكسار القبطى** : يوم ١٠ أمشير .

٧) **أقوال الآباء الشيوخ** – منشورات النور – عام ١٩٩٠م – ص ١٤٤.

٨) **تاريخ الكنيسة المسيحية** – ترجمة ألكسندروس مطران حمص – عام ١٩٢١م – ص ٣٠٤.

الفهرس

مقدمة ٥

إيسيذروس الفرمى ١١

كتاباته ٢٢

ملامح من فكره ٢٧

الكتاب المقدس : ٢٨

١) وحى الكتاب المقدس ٢٨

٢) الإتفاق والإختلاف بين العهدين ٢٩

٣) التفسير ٣٠

٤) أهمية الكتاب المقدس ٣١

العقيدة : ٣٣

١) الثالوث ٣٣

٢) الخريستولوچى ٣٤

٣) التبرير والخلاص ٣٥

٤) نقاط عقيدية أخرى ٣٧

اللاهوت الروحى والسلوكى ٤٢

١) الاكليروس ٤٢

٢) الرهبان ٤٥

٣) الحياة المسيحية ٤٨

المصادر ٥١

المراجع ٥٧


صدر من سلسلة
آبـــاء الكنيســة
أختوس ΙΧΘΥΣ


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس إيلاريون الكبير
أب رهبان فلسطين
أنطونيوس غزة والشام


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس أمـونـاس
تلميذ الأنبا أنطونيوس
رسـائله الروحـية


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ألكسندروس
البابا الـ ١٩
أعماله ضد الأريوسية


سلسلة
آباء الكنيسة
أمهات قديسات
فردوس العذارى الحكيمات


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس يوستين والآباء المدافعون
الأدب الدفاعى المسيحى
(آباء القرن الثانى)


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس كيرلس الكبير
رسائله ضد النسطورية
تقديم
القمص سيداروس عبد المسيح


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة بنتينوس
السكندرى
مدير مدرسة الإسكندرية


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس إيريناؤس
(أسقف ليون)
أبو التقليد الكنسى


سلسلة
آباء الكنيسة
العلامة لاكتانتيوس
الفيلسوف المسيحى


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس ديديموس
الضرير
لاهوتى الروح القدس


سلسلة
آباء الكنيسة
إيفاجريوس البنطى
مار أوغريس
من روائع الأدب النسكى


سلسلة
آباء الكنيسة
الرسالة
إلى ديوجنيتس
من الأدب المسيحى الأول


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس سيرابيون
أسقف تيمى
نائب البابا أثناسيوس


سلسلة
آباء الكنيسة
القديس هيلارى
أسقف بواتييه
أثناسيوس الغرب


سلسلة آباء الكنيسة
القديس ديونيسيوس
بابا الإسكندرية الـ ١٤
مدير مدرسة الإسكندرية
سلسلة آباء الكنيسة
يوحنا التبايسى
الأسيوطى
من آباء البرية
سلسلة آباء الكنيسة
القديس أبيفانيوس
أسقف سلاميس
صائد الهرطقات
سلسلة آباء الكنيسة
القديس بوليكاربوس
أسقف سميرنا
الآبـاء الرسوليون